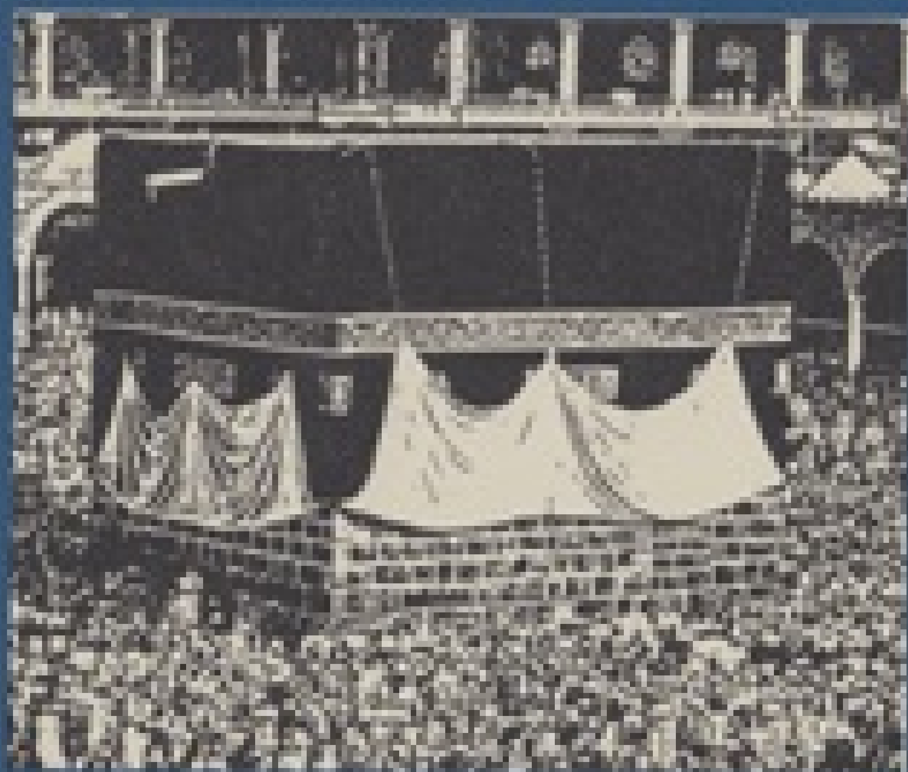
قُدسيّة الحرم وأمنه

آية الله جوادي آملي



بسم الله الرحمن الرحیم

قدسیه الحرم و امنه

کاتب:

عبدالله جوادی آملی

نشرت فی الطباعهٔ:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵
قدسیه الحرم و امنه ----- ۷
اشارهٔ ----- ۷
المقدمه ----- ۷
معرفهٔ الانسان ----- ۸
«الوحدهٔ» و «الکثرهٔ» فی ترکیب الانسان ----- ۱۴
الهجرهٔ و عاملها ----- ۱۵
موانع السلوک الی الله ----- ۱۶
التولّی و التبرّی ----- ۱۶
محور وحدهٔ البشریهٔ تکوینی لا اعتباری ----- ۱۷
محور وحدهٔ البشریهٔ خالد ----- ۱۷
الانسان ینطوی علی مقومات الوحدهٔ ----- ۱۹
الاسلام محور الاتحاد ----- ۲۱
المحاور الرئیسهٔ لوحدهٔ البشریهٔ فی الاسلام ----- ۲۴
عالمیهٔ القرآن الکریم ----- ۲۴
عالمیهٔ رسالهٔ النبی الأعظم (ص) ----- ۲۶
النبی الاعظم (ص) أسوهٔ للبشریهٔ جمعاء ----- ۲۷
واجب البشریهٔ تجاه الرسالهٔ الخاتمهٔ ----- ۲۹
الکعبهٔ المعظمهٔ محور خالد ----- ۳۱
قدسیهٔ الکعبهٔ و أمن الحرم ----- ۳۲
الکعبهٔ محور البراءهٔ من المشرکین ----- ۳۶
عمارهٔ الکعبهٔ و المسجد الحرام ----- ۳۹
ولایهٔ حرم الأمن الالهی ----- ۴۴

ضیوف الرحمن ---------- ۴۷

تعریف مرکز ---------- ۴۹

قدسیه الحرم و امنه

اشارهٔ

نام كتاب: قدسیهٔ الحرم و أمنه

نویسنده: آیهٔ الله جوادی آملی

موضوع: اسرار و معارف

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱

ناشر: نشر مشعر

ص: ۱

المقدمه

بسم الله لرحمن الرحيم واياه نستعين الحمد الله الذى هدانا لهذا و ماكنا و ما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله. وصلى الله على جميع الانبياء و المرسلين و الأئمة المهديين، سيما خاتم الانبياء و خاتم الاوصياء عليهما آلاف التحية و الثناء. بهم نتولى، و من اعدائهم نتبرأ الى الله.

معرفة الانسان

۱- ليس الانسان كالملائكة فى تجرد الوجود ... و من هنا فهولا يستغنى عن التنسيق مع ابناء نوعه، ولا يستطيع ان يعيش بشعار: «ما منا الا له مقام معلوم».

ثم ان الانسان على الصعيد المادى ليس كالحيوان الذى لايحتاج الى التعاون و تبادل الفكر مع أبناء جنسه، والكائن البشرى لايستطيع أن يعيش بشعار: «قد افلح اليوم من استعلى» المنطلق من حناجر الوحوش البشرية، كآل فرعون

ص:۲

ص:۳

ص:۴۰

ص:۵

ص:۶

ص:۷

ص: ۸

و من جههٔ اخری، لایستطیع الفرد- دون مستند تکوینی- أن یتخلص من التشتت و التمزق، و أن یتوصل الی سر الاتحاد مع أبناء نوعه، و أن یحقّق الوحدهٔ بسلوک مناسب، و أن یتحرر من کل نقص و عیب بشعار «قد أفلح من تزکی» و یصل الی الکمال الانسانی.

«الوحدهٔ» و «الكثرهٔ» فی تركيب الانسان

۲- الانسان یتکون من عامل کثرهٔ یسمی «الطبیعهٔ»، و عامل وحدهٔ یدعی «الروح» و «ماوراء الطبیعهٔ».

فلوکرس جانبه الطبیعی و أثراه لم ینل سوی الاختلاف و النزاع. ولو سعی لتزکیهٔ جانبه الروحی لسلم من آفات النزاع، وارتوی من شهد المسالمهٔ و الصفاء.

الله سبحانه نسب خلق جسم الانسان الی التراب و الطین و الصلصال و الحمأ المسنون المعبرهٔ عن الکثرهٔ، الباعثهٔ دائما علی التزاحم و النزاع:

«انی خالق بشرا من طین ...» (ص/ ۷۱).

و نسب- سبحانه- خلقه الروح الانسانیهٔ الی نفسه ... و هی عین الوحدهٔ .. و سبب الاتحاد و الرأفهٔ و الالتحام: «نفخت فی من روحی». (الحجر- ۲۹).

«ثم سواه و نفخ فیه من روحه» (السجدهٔ/ ۹).

السرّ فی «کثرهٔ» عنصر الطبیعهٔ و المادهٔ یکمن فی ضیق وجوده، اذ کل موجود مادی له ظروفه الخاصهٔ به. لیس له حضور فی غیره، و لا یتقبل غیره. و هکذا سرّ الوحدهٔ فی ماوراء

ص: ۹

الطبيعة يعود الى سعته الوجودية، اذ كل موجود مجرّد ليس محجوباً عن غيره، و ليس محروما عن شهود غيره. لذلك تخلو الجنة من كل حقد و نزاع: «ونزعنا ما فی صدور هم من غل» (الاعراف/ ۴۳)، و تخلو قلوب المؤمنين المعتقدين بما وراء الطبيعة و الملتزمين بمدرسة الوحی الالهی، من كل معاداة و تباغض فيما بينهم: «ربنا اغفر لنا ولا خواننا الذين سبقونا بالايمان و لاتجعل فی قلوبنا غلًا للذين آمنوا ربنا إنک رؤوف رحيم» (الحشر/ ۱۰).

الهجرة و عاملها

۳- الانسان الالهی يهاجرمن الكثرة مستهدفا الوحدة مقتديا بمعمار الكعبة و مؤسس بيت التوحيد ابراهيم الخليل: «انی ذاهب الی ربی سيهدين» (الصافات/ ۹۹).

و من اجل تحقيق هذا الهدف السامی يجتاز ذلک الانسان الموانع التی يجمعها الارتباط بعالم الطبيعة، و يتعرّف على الظروف و الملابسات التی يجمعها الارتباط بعالم ماوراء الطبيعة، و عن هذا الطريق يتوصل الی الهدف المنشود.

و الموانع الطبيعية لا تنحصر فی أشياء معينة، و لاتقف فی وجه افراد معينين، ولا تتحدد بمكان او زمان خاصّين، بل كل ما يبعث على غفلة الانسان عن ذكرالله فهو من تلک الموانع، و تواجه كل انسان فی أی سنّ كان أو فی أی مقام ولاينجو منها الّا المخلصون (نفتح اللام) «.. لأغوينّهم أجمعين الّا عبادک منهم المخلصين» (الحجر-).

ص: ۱۰

موانع السلوک الی الله

۴- الانسـان یواجه علی طریق سـیره نحو الله قطـاع طریق و أخطـار و کلمـا کـان الانسـان اقوی کـان قطـاع طریقه امهر، و کانت عملیهٔ التغلب علی الاخطار أصعب. ولکن المسیر سیتیسّر بتوفر شروط السیر نحو الحق سبحانه:
«فامّا من أعطی و آتقی و صدّق بالحسنی فسنیسّره للیسری». (اللیل/ ۷). و عند عدم توفر هذه الشروط و الابتلاء بموانع المسیر نحو الله سبحانه ستتوفر عوامل الانحراف و السقوط: «واما من بخل واستغنی و کذب بالحسنی فسنیسره للعسری» (اللیل/ ۱۰).
و لما کان عالم الحرکهٔ و التحوّل مختبرا للامتحان الالهی، فان الله سبحانه یمد البشریهٔ جمعاء بالامکانات الطبیعیهٔ، کی یؤدّوا امتحانهم و هم مجهزون بالوسائل المادیّهٔ لذلک یصرح القرآن الکریم بأن الامداد الالهی یشـمل طلاب الدنیا و طلاب الآخرهٔ: «کلّاًنمدُّهؤلاء و هؤلاء من عطاء ربک و ما کان عطاء ربک محظورا» (الاسراء/ ۱۹)
الکثرهٔ معبر للوحـدهٔ، و هـذا المعبر یمثل المانع المهم و العقبـهٔ الکؤود، ولابد من اجتیازه .. لذلک لابدّ لسالک دیار الحق سـبحانه أن یرسّخ التوحید باعتباره أهّم عامل للوحدهٔ، و أفضل وسیلهٔ للتغلب علی الکثرهٔ.

التولّی و التبرّی

۵- الانسان الالهی یستطیع أن یهاجر کسیدنا ابراهیم (ع) من الشهادهٔ الی الغیب عندما یتولی الله سبحانه تولیا کاملا،

ص: ۱۱

و يبرأ من الباطل نهائيا، و عندما يكون فى حبّه و بغضه و اعماله و تروكه تابعا لدين ابيه ابراهيم: «ملة ابيكم ابراهيم» (الحج- ۷۸). و يتحقق بلوغ هذه المكانة السامية فى ضوء هدى القرآن الكريم.

محور وحدة البشرية تكوينى لا اعتبارى

۶- لابد للانسان من أن يتحد مع أبناء جنسه لأنه لايستغنى عن المجتمع و لا- ترتسم الخطوط الاصلية لسعادة دون الانسجام مع الآخرين.

و الانسان موجود تكوينى لا- اعتبارى، لذلك فان سعادته- مثل وجوده- حقيقة عينية، و ليست أمرا ذهنيا و توافقيا. و من هنا أيضا يجب أن يكون ارتباط الفرد بالآخرين قائما على محاور عينية و تكوينية، لامحاور توافقية اعتبارية مثل العقود التجارية و الصناعية و الزراعية التى تبرم تحت عناوين البيع و الايجار و الصلح و المضاربة و امثالها، مما تنفسخ بتغير الاوضاع و تحل محلها عقود جديدة بشروط جديدة.

محور وحدة البشرية خالد

۷- انطلاقا من ضرورة ارتباط الفرد بأبناء نوعه، فان هذا الارتباط يجب ان يكون- اضافة الى صفته العينية و التكوينية لا الذهنية و الاعتبارية- ذا جانب من الخلود و الأبدية، بحيث يمكن اقامته فى كل زمان و مكان و جيل، بمعزل عن التغيرات الجغرافية و التطورات التاريخية. و دون أن يمسه

ص: ۱۲

تطاول الحوادث، أو يغيره تحوّل الايام، و دون أن يكون- هذا الارتباط- ذا جانب جسمانى و مادى من البشر، لأن جسم الكائن البشرى من تراب معين و خاضع لظروف زمانية خاصة، و الارتباط المنطلق من الجانب الجسمى المادى لابد أن يحمل خصائص هذه الظروف و أن يكون مقرونا بالثقافة المنطلقة من هذه الخواص المادية. من هنا تنطلق الاختلافات القومية و العنصرية و اللغوية، و هكذا الاختلافات القومية و العنصرية و اللغوية، و هكذا الاختلافات فى العادات و التقاليد و الآداب، وهذه الاختلافات- رغم فائدتها- تفتقد الأصالة، ولا تحوز على مساحة مهمة من جوهر البشرية الخالد. اذ فى كل ارض و بين كل مجموعة بشرية فرد صالح أ طالح. لذلك لا يعير القرآن الكريم أهتماما لمثل هذه الأمور المنطقة من جانب مادى و الاعثة على الكثرة. والله سبحانه إذ يقرّر وجود هذا التعدّد يشير الى عدم تأثيره فى تكامل البشرية: «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم». (الحجرات/ ۱۳).

أى ان تعدد القوميات له فائدة فى تعارف الشعوب على بعضها على بعض، باعتباره هوية طبيعية، و الا- فلا- أثر له فى نظام القيم الاسلامية، و هذه الكثرة المادية تستطيع بدورها أن تكون- مثل سائر الاختلافات- دلالة على قدرة الله سبحانه، دون أن تشكل امتيازا فى التقييم: «ومن آياته خلق السماوات و الارض و اختلاف السنتكم و الوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين» (الروم/ ۲۲).

مما سبق نستنتج:

ص: ۱۳

۱- تكامل الانسان يتطلب بالضرورة ارتباط المجتمعات البشرية.

۲- ارتباط أبناء البشر أمر عينى و تكوينى، لا توافقى و اعتبارى.

۳- الارتباط المنطلق من المادة و الطبيعة- رغم كونه عينيا و تكوينيا- لايحظى بالبقاء و الثبات، ولا وزن له فى معايير تقويم الانسان من وجهة نظر القرآن.

من هنا ان لوائح الأمم المتحدة- على فرض سدادها و صلاحها- لا تعدو أن تكون توافقية غير قادرة على تحقيق سعادة المجتمعات البشرية، و هكذا تعجز الأنظمة العنصرية و القومية و الوطنية عن تحقيق هذا الهدف، لأن حقيقة الانسان التكوينية اسمى من العقود الاعتبارية، و ابديته أرفع من الأمور المادية المتغيرة.

الانسان ينطوى على مقومات الوحدة

۸- الانسان- فى المنظور القرآنى- يحمل فى أعماقه مقومات السعادة الشاملة و الوحدة الواسعة مع جميع المجتمعات البشرية كأمل ثابت و موحِّد و شامل و دائم لا يفتقده أى فرد فى كل عصر و مصر. و هذه المقومات اللازمة للتكامل التكوينى تتمثل فى الفطرة التوحيدية القادرة على توحيد البشرية دون أى عقد و اتفاق، و بمعزل عن كال مصادقة و اعتبار: «فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون» (الروم- ۳).

ص: ۱۴

و يعود ثابت الفطرة التوحيدية الشاملة الى ان الله شاء أن يكون الكائن الانسانى «فى احسن تقويم» و لا يعترى الفطرة التوحيدية أى نقص أو عيب، لذلك فان المشيئه تقتضى بقاء هذه الفطرة و ثباتها. كما لايملك غيرالله سبحانه قدرة على التأثير فى نظام خلقه الانسان، لذلك قال سبحانه بلغة الرفض المطلق: «لا تبديل لخلق الله ..».

من هنا فان سبيل وحدة البشرية و اتحاد المجتمعات الانسانية ينحصر فى محور الفطرة التوحيدية، لانها امر عينى و تكوينى لاتوافقى، و عنصر خالد و ثابت لا تنطلق من خصائص اقليمية، لتتغير بتغير هذه الخصائص، و لا تنحصر بزمان خاص لتزول بزوال ذلك الزمان، و لا تقع عرضة للاحداث لتبلى، بل هى باستمرار تطل على الزمان و المكان، و تتعالى على كل الأعراف و التقاليد و السنن القومية والاقليمية: ذلك لأن روح الانسان مجرّدة، وفطرته التوحيدية الممتزجة بوجوده منزّهة من المادة و مبرّأة من القوانين الحاكمة على الطبيعة و التاريخ. من هنا فان هذه الفطرة لاتتبع فى جوانب السلب و الايجاب و الرفض و القبول القوانين و القواعد و الاصول المادية. لانها ليست من سنخ المادة (أولا) و هى اكمل منا (ثانيا). لذلك فانها خارجة عن اطار المادة و عن تأثيرها المباشر و الأصيل. لذلك قال سبحانه:

«وألف بين قلوبهم، لوانفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم أنه عزيز حكيم». (الانفال/ ۶۳).

و يلاحظ فى الآية الكريمة اسمان من أسماء الله الحسنى

ص: ۱۵

و هما: العزيز و الحكيم. إشارة الى ائتلاف قلوب الأعزة و الحكماء. أمّا قلوب الأذلة الجهلة فهى متباعدة متنافرة متباغضة متخاصمة متصارعة، انها قلوب متحاسدة لدى النعمة، متشامتة لدى المصيبة، محكومة بسنة كونية يقررها الله سبحانه فى قوله: «وألقينا بينهم العداوة و البغضاء الى يوم القيامة». (المائدة- ۹۱).

«فاغرينا بينهم العداوة و البغضاء الى يوم القيامة». (المائدة- ۱۸).

و الشيطان الذى مثله كمثل الكب المعلَّم و له سهم محدود من التجرد الخيالى والوهمى، يسعى عن طريق وسوسته الخفية التى تعتبر امراً تكوينياً، الى التغلغل فى تلك القلوب التى اغوتها الدنيا وفصلها عن بعضها البعض و اخضاعها لو لايته التامة ...

«انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة و البغضاء ...» (المائدة/ ۹۱).

و حين قرر الشارع دفع جزء من مال الزكاة «للمؤلفة قلوبهم» فذلك لتوفير ارضية التأليف المعنوى بهذا الاحسان المادى. و لا يعدو أن يكون تأثيره المباشر هو الاسكات لا الاطمئنان، اذ لايطمئن القلب الّا بذكر الله. «ألا بذكر الله تطمئن القلوب» (الرعد/ ۲۸).

وليس بعد الاعراض عن ذكر رب العالمين سوى ضنك العيش، وضيق الصدر «ومن أعرض عن ذكره فان له معيشة ضنكا» (طه- ۱۲۴).

الاسلام محور الاتحاد

۹- الانسان- من منظار الوحى- يستطيع أن يبلغ

ص: ۱۶

کماله النهائی بالاسلام وحده ... بالدین العالی الشامل الذی یدعو الناس جمیعا الی التألف والوحدة و الانسجام و التعاون و التعاضد. ذکرنا من قبل، أن الوحدة العالمیة لا تتحقق الّا بارتباط تکوینی و عالمی، و کل ارتباط لایتطابق مع الخصلة التوحیدیة لأفراد البشر، امّا ان یکون اعتباریا لا ـ عینیا و تکوینیا، و امّا أن یکون فانیا لا باقیا. لـذلک فان القانون القادر علی هدایـة المجتمعات البشـریة یجب ان ینطبق مع فطرتهم الالهیـة، و ان یحوز علی تلکما الخاصیتین (الخاصیة التکوینیـة لا ـ الاعتباریـة، و الخاصیة الأبدیـة لا ـ الموسمیة و العارضـة). و المبـدأ الوحیـد القادر علی طرح مثل هـذه القوانین، و المحیط بکل الاصول المـذکورة هو ذات الباری تعالی وحده دون سواه.

لـذلک عرّف الاسـلام بأنه دین عالمی، و دعا الناس جمیعا الیه، و قرر ان خطوطه الاصیلة عامـة و خالـدة و شاملـة، و نهی عن الابتعاد عنه، و بیّن اخطـار الاعراض عنه و الاعتراض علیه آو معارضـته فقال سـبحانه: «واعتصـموا بحل الله جمیعا و لا تفرقوا واذکروا نعمـة الله علیکم اذ کنتم اعـداء فـالف بین قلوبکم فأصبحتم بنعمته اخوانـا و کنتم علی شـفا حفرة من النار فأنقـذکم منها کـذلک یبین الله لکم آیاته لعکم تهتدون» (آل عمران/ ۱۰۳).

ای ان الانسان فضلًا عن کونه مکلفاً بالتمسک بالاسلام باعتباره افضل حبل لبنی الانسان، فان علیه ان یتحد مع الآخرین و یعتصموا معاً بحل الله الـذی یتبلور بالقرآن الکریم و سـنة المعصومین. و ان هـذا التآلف الـذی یدعونا الیه الدین هو ذاته النعمة الاهلیة الخاصة التی یجب ان لانغفل عنها. کما لابد ان لانغفل عن خطر شیوع العداء

ص: ۱۷

و الاختلاف فيما بيننا الذى يعتبر بمثابة التحوك على شفا حفرة من النار.

وقال تعالى: «يا أيها الـذين آمنوا ادخلوا فى السـلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشـيطان انه لكم عدو مبين» (البقرة– ۲۰۸) .. و أبرز مظاهر عداوة الشيطان اشعال نار الفتنة و النزاع و الاختلاف و التفرقة.

والناس فى كل مجتمع يقتـدون بعلمائهم و مفكريهم. فان كان هؤلاء متآلفين متوحدين فلا يطرأ على المجتمع شـرخ أو انشـقاق. و ان كانوا– و العياذ بالله– متباغضـين مشـتتين فلا امل فى اصلاح مجتمعا تهم، و لا وحدة يمكن أن تظهر فى هذه المجتمعات. لذلك يركز القرآن تحذيره للعلماء من اليوم الذى فيه: «تبض وجوه و تسودّ وجوه». (آل عمران/ ۱۰۵– ۱۰۶).

اختلاف الرأى باعتباره مقدمة للوصول الى هدف مشترك كاختلاف كفتى ميزان يسعى للموازنة بين الوزن و الموزون، و هو اختلاف لازم و مفيد. غير أن القرآن الكريم يؤكد على أضـرار الاختلاف بعد العلم واتضاح الحقائق. و هو الختلاف تقع مسؤوليته على العلماء والمفكرين، و لامنشأ له سوى الأهواء النفسية الهابطة التى يعبر عنها القرآن بالبغى:

«وما اختلف فيه الّا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم» (البقرة/ ۲۱۳). «وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الّا من بعد ما جاء هم العلم بغيا بينهم» (آل عمران/ ۱۹). «وما تفرقوا الّا من بعد ما جاء هم العلم بغيا بينهم» (الشورى/ ۱۴)، «فما اختلفوا الّا من بعد ما جاء هم العلم بغيا بينهم» (الجاثية/ ۱۷).

و البغى لا يمكن ان يكون اطلاقا وسيلة لبلوغ الكمال على

ص: ۱۸

خط المسيرة البشرية فى منظار السنن الالهية. بل انه سيعود بالوبال على الباغين و المعتدين: «ولايحيق المكرالسيّئ الّا بأهله» (فاطر-۴۳).

المحاور الرئيسة لوحدة البشرية فى الاسلام

۱۰- ذكرنا أن الانسان ذوفطرة توحيدية يشترك فيها مع أبناء جنسه، و هو مدعوّ للالتزام بالدين العالمى الشامل.

و هذا الانسان يمكن ان تتفتح فطرته المشتركة و لكنه لايقدر على مزايا الدين العالمى المشترك الّا اذا كانت له المحاور الاصيلة الثابتة القادرة على جمع الشتات البشرى و توحيد خطى الانسانية. من هنا قدم الله سبحانه القرآن الكريم كتابا للبشرية جمعاء، و محورا فكريا و عمليا للعالمين، و بعث خاتم النبين (ص) لتحقيق احكام القرآن باعتباره اسوة و رحمة لبنى البشر، و قرر ان الكعبة المقدسة محورا لتجمع المسلمين فى جميع اقطار العالم و مطافا لكل الناس.

و بهذه المحاور الاساسية الجامعة الموحّدة يستطيع المسلمون فى كل أرجاء الارض ان يتعارفوا و يتعاضدوا.

و نحن فى هذا المقال سنلقى الضوء على عالمية هذه المحاور، و خاصة ما يرتبط منها بالكعبة المشرفة- زادها الله شرفا- وقدسيتها العالمية، وامنها العالمى كى تتضح مسؤولية المسلمين عامة و العلماء خاصة تجاه صيانة قدسية الكعبة و امنها.

عالمية القرآن الكريم

۱۱- شاء الله سبحانه ان يكون رسوله الخاتم أكمل البشر

ص: ۱۹

و مظهر اسم الله الأعظم، و من هنا كان الكتاب عليه أكمل الكتاب، و مستوعبا لساحة الزمان و المكان على مرّ التاريخ. و هذه الصفة العالمية قررها الله تعالى فى مطاوى الكتاب الكريم اذ قال سبحانه:

«شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس» (البقرة- ۱۸۵)

«انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق ..» (الزمر- ۴۱)

فهو- اذن- كتاب للناس عامة لايختص بعصر ولا بمصر ... و هو يخاطب الفطرة، و يذكر البشرية جمعاء بعهد فطرتهم التى فطرهم الله عليها:

«قال لا اسألكم عليه أجرا ان هو الّا ذكرى للعالمين» (الانعام- ۹۰)

«ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلّهم يتذكرون» (الزمر- ۲۷).

ثم ان هذا الكتاب الكريم ينذر البشرية جمعاء ممّا يتهددها من خطر الزيغ والانحراف:

«وأوحى الىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ...» (الانعام- ۱۹).

«تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا» (الفرقان- ۱).

كما ان آيات تحدى الجن و الانس على أن يأتوا بآية أو سورة

ص: ۲۰

من مثله، هی ایضا دلالـة علی عالمیـة القرآن، اذلو کان محلیّا لاتجه فی تحـدیه ادعاء اعجازه الی منطقة نفوذه حسب. لکنه خاطب فی تحدیه البشریة فی کل مکان و زمان.

طبعا یجب التنبیههنا الی أن معجزة کل نبی- وان کانت رسالته محـدودة- باقیـة فی قوة اعجازها الی الأبد، ولا یسـتطیع أن یأتی بمثلها سوی الأنبیاء و اولیاء الله. (انتبه بدقـة) کل دلیل علی عالمیـة القرآن الکریم هو- فی الواقع- دلیل أیضا علی عالمیـة رسالة النبی الخاتم (ص). و العکس صحیح أیضا، لأنهما متلازمان و دعوة النبی متبلورة فی القرآن الکریم.

عالمیة رسالة النبی الأعظم (ص)

۱۲- بعث الله محمدا (ص) نبیّا، ولم یبعث معه فی زمانه نبیا آخر. و لم ولن یبعث بعده نبیا آخر، لأن رسالته تسـتوعب الساحة البشـریة فی عصـره و فی جمیع العصور حتی یرث الله الارض و من علیها. وکل دلیل علی خاتمیـة النبوة بنبینا الأعظم (ص) هو أیضا دلالة علی عالمیة الرسالة کقوله سبحانه:

«ما کان محمد أبا احد من رجالکم ولکن رسول الله و خاتم النبیین و کان الله بکل شیء علیما». (الاحزاب- ۴۰).

اضف الی ذلک أن ثمة آیات اخری تقرّر عالمیة الرسالة المحمدیة کقوله سبحانه:

«وما ارسلناک الّا رحمة للعالمین» (الانبیاء- ۱۰۷).

«وما ارسلناک الّا کافة للناس بشیرا و نذیرا و لکن أکثر النا س

ص: ۲۱

لايعلمون». (سبأ- ۲۸).

«يا ايها الناس قد جاء كم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم و ان تكفروا فان لله ما فى السماوات و الارض و كان الله عليما حكيما». (النساء- ۱۷۰).

«قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا» (الاعراف- ۱۵۸).

فالرسالة لكافة الناس لاتختص بقوم و لابزمان. و كما ان هداية القرآن عامة للناس، فكذلك قيادة الرسول الاعظم (ص) عامة للناس .. و كلمة (الناس) تشمل البشرية جمعاء مالم تكن هناك قرينة تخصصها.

النبى الاعظم (ص) أسوة للبشرية جمعاء

۱۳- الانسان «السالك» الى الله يحتاج دائما الى الاسوة و القدوة، ليجعله معيارا يقيس عليه معتقداته و أخلاقه و سلوكه. و الرسول الخاتم (ص) سيّد السالكين الى الله سبحانه، ولذلك فهو اسوة للجميع، و اطار الاقتداء به، مثل رسالته، عالمى.

ربّ العالمين أدّب رسوله بآداب الهية خاصة، ثم جعله قدوة للناس جميعا، و أمر المجتمعات البشرية ان تقتدى به.

كل ما صدر الى الرسول الاعظم (ص) من أوامر علمية و عملية سواء كنات فى المعراج أو غير المعراج، أو بشكل قرآنى أو الهام وحديث قدسى؛ انما كانت باعتبارها تعليما للكتاب والحكمة، و تأديبا بالآداب الالهية، و الرسول (ص) كان «تام

ص: ۲۲

القابلیهٔ» لتلقی المواهب الغیبیهٔ، فاستلهم کل ماصدر الیه من فیض من مبدأ «تام الفاعلیهٔ»، کقوله سبحانه:

«خذ العفو و أمر بالعرف و أعرض من الجاهلین» (الاعراف- ۱۹۹).

«ومن اللیل فتهجّد به ناقلهٔ لک عسی أن یبعثک ربک مقاما محمودا» (الاسراء- ۷۹).

و امثالهما من الآیات التی امرت الرسول (ص) بانشراح الصدر وتلقی القرآن و الاستقامهٔ أمام الحوادث الجسیمهٔ، و الهجرهٔ و الجهاد، والاجتهاد و القیام بالقسط و العدل، و بآلاف الصفات الکمالیهٔ الأخری.

هذه الآیات، والی جانبها شواهد أخری، تشیر جمیعا الی مرتبهٔ الکمال الانسانی للنبی الأعظم (ص). حینئذ یخاطبه الله سبحانه بقوله: «وانک لعلی خلق عظیم» (القلم- ۴). هذا الخطاب- و ان سبق فی نزوله کثیرا من الآیات التی تصف الاخلاق السامیهٔ للرسول- یقتضی حسب اصول التدرج انه قد اتصف بصفات الکمال، أولا، ثم جاءت الآیهٔ لتقرر ذلک.

ومهمایکن من أمر، فان اتصاف الرسول (ص) بالخلق العظیم یقتضی أن تکون سنته و سیرته و جمیع شؤون حیاته أسوهٔ لجمیع السالکین، الّا اذا دلت قرینه علی اختصاص ذلک بالنبی (ص).

«لقد کان لکم فی رسول الله أسوهٔ حسنهٔ لمن کان یرجو الله و الیوم الآخر و ذکر الله کثیرا» (الاحزاب- ۲۱).

ص: ۲۳

«.. ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله أن الله شديد العقاب». (الحشر – ۷).

والاية الكريمة التالية تبين سبب ضرورة امتثال أوامر النبى (ص):

«الـذين يتبعون الرسول النبى الأمى الـذى يجـدونه مكتوبا عندهم فى التوراة و الانجيل يأمرهم بالمعروف و ينها هم عن المنكر و يحلّ لهم الطيبات و يحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصـرهم والاغلال التى كانت عليهم، فالذين آمنوا به و عزّروه و نصـروه و اتبعوا النور الذى أنزل معه اولئك هم المفلحون». (الاعراف – ۱۵۷).

أى ان كل تعليمات النبى تقوم على أساس المصالح و الحكم الالهية الضامنة لكمال جميع أفراد البشر فى الأبعاد العلمية و العملية.

واجب البشرية تجاه الرسالة الخاتمة

۱۴– المجموعـة البشـرية التى اتخـذت من الرسول (ص) قائـدا لها فى حياتها الفكرية و العملية تتحمل مسؤولية الاجتهاد من أجل فهم الرسالـة و العمل بها، و مسؤوليـة الجهاد فى سبيل صـيانتها، كى تتضـح المعارف الالهيـة بجلاء، و تبتعـد عن تطاول أيـدى المتطاولين عليها.

أهميـة الحفاظ على شخصـية الرسول الحقيقية و الحقوقية تفوق أهمية الحفاظ على النفس و النفيس. القرآن الكريم يقرّر هذه الحقيقة بالا ثبات تارة إذ يقول:

ص: ۲۴

«النبی أولی بالمؤمنین من انفسهم» (الاحزاب- ۶).

و یقررها تارهٔ أخری بالنفی و النهی اذ یقول:

«ما کان لأهل المدینهٔ و من حولهم من الأعراب أن یتخلفوا عن رسول الله و لا یرغبوا بأنفسهم عن نفسه» (التوبهٔ- ۱۲۰).

من هذین التقریرین نفهم أن حفظ الرسول الاعظم (ص) من أهم الواجبات، ولایجوز لأحد ان یغفل عن حراسهٔ هذه الشخصیهٔ.

والحفاظ علی شخصیهٔ الرسول (ص) لایقتصر علی شخصیته الحقیقهٔ و وجوده الشخصی الجسمی، بل یشمل أیضا شخصیته الحقوقیهٔ المتبلورهٔ فی القرآن و السنّهٔ. لذلک فان مسؤولیهٔ الحفاظ علی شخصیهٔ الرسول (ص) عامّهٔ و دائمهٔ.

و علی امتداد الزمان و المکان فی حیاهٔ البشریهٔ تدخل شخصیهٔ الرسول الحقوقیهٔ فی الساحهٔ حینما تشهد هذه الساحهٔ مسألهٔ من المسائل الاجتماعیهٔ الاسلامیهٔ. و لایجوز للمؤمنین أن یترکوا هذه الساحهٔ، لأن الله سبحانه یقول:

«انّما المؤمنون الـذین آمنوا بالله و رسوله و اذا کانوا معه علی أمر جامع لم یـذهبوا حتی یستأذنوه ان الذین یستأذنونک أولئک الذین یؤمنون بالله و رسوله فاذا أستأذنوک لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم و استغفر لهم الله ان الله غفور رحیم» (النور- ۶۲).

فـالمؤمنون لاـیترکون الرسول اذا کانوا معه علی امر جامع کأمر الجهاد و الـدفاع عن حرمات الاسـلام، و هـذا الحکم الالهی قائم حتی تقوم الساعهٔ.

ص: ۲۵

الكعبة المعظمة محور خالد

۱۵- المجموعة الشرية المؤمنة بدين عالمى، و بكتاب عالمى، و بنى عالمى دائم تحتاج الى محور عالمى تتجه اليه فى حياتها الاجتماعية و الفردية.

على الصعيد الاجتماعى تحتاج الى مكان يجتمع فيه القاصى والدانى لتعالج قضاياها و تدرس مايواجهها من تحديات، و ما تعانيه من مشاكل فى حياتها السياسية و الاجتماعية على صعيد علاقاتها الداخلية أو الخارجية، و تعمل على توثيق عرى التلاحم الفكرى و الثقافى بينها .. و كل هذه الفوائد يمكن أن نفهمها من اطلاق كلمة «المنافع» فى الآية الكريمة:

«ليشهدوا منافع لهم و يذكروا اسم الله فى ايام معلومات». (الحج- ۲۸).

و من جهة اخرى كانت الكعبة محورا يرتبط به المسلمون، و هم فى أصقاع شتّى من العالم خلال حياتهم اليومية على سبيل الوجب أو الندب فى صلواتهم و أذ كارهم و أدعيتهم و نحرهم و ذجهم و فى نزعهم بل و حتى فى دفنهم. و لكروية الارض فان اتجاه مجاميع المسلمين نحو الكعبة مستمر لاينقطع فى كل لحظات الزمان، و من كل الجهات، لان اوقات الصلاة غير متفقة لأهل المعمورة.

و كما أن الملائكة مرتبطة دائما بالعرش، كذلك المسلمون فى جميع أرجاء العالم، مرتبطون على مرّ الزمان و فى كل مكان

ص: ۲۶

بالكعبة الكائنة بمحاذاة العرش.

و مع اننا نستطيع أن نشاهد وجه الله فى كل جهة: «ولله المشرق و المغرب فأينما تولوا فثم وجه الله». فأن الأمر الالهى يقضى بالاتجاه نحو المسجد الحرام فى الصلاة: «قد نرى تقلب وجهك فى السماء، فلنولينك قبلة ترضاها، فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره». (البقرة- ۱۴۴).

قدسية الكعبة و أمن الحرم

۱۶- ذكرنا أن الجماعة المسلمة منشدّة فى حياتها الفردية والاجتماعية الى الكعبة، تتعبّد فى اتجاهها، و تتخذ منها محورا لتجمّعها، و من المؤكد أنّ المسلمين فى فهم خصائص هذا المعبد المقدّس يزيدهم عمقا فى الاتصال بالمعبود، و نقاءً فى توحيده بالعبادة، و من هنا ركز القرآن على تبيين خصائص الكعبة و المسجد الحرام و الحرم المكى.

فالكعبة أولى واقدم معبد وضع للبشرية:

«إنّ اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا ..» (آل عمران- ۹۶).

و هى قوام البشرية التواقة الى عبادة الله الواحد الأحد و الرافضة لكل الآلهة المزيفة الباطلة:

«جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس». (المائدة- ۹۷).

و الكعبة مرجع الناس و ملاذهم الذى يأمنون فى كنفه:

«واذ جعلنا البيت مثابة للناس و أمنا». (البقرة- ۱۲۵).

ص: ۲۷

و مكان البيت عيّنه ربّ العالمين، و وجه اليه ابراهيم لبنائه:

«وإذ بوّأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا». (الحج- ۲۶).

و بناء الكعبة قام على يد اثنين من أعظم أنبياء الله و من اكثرهم تضحية و فداءً:

«وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت و اسماعيل» (البقرة- ۱۲۷).

والكعبة وصفت بأنها البيت العتيق دلالة على عراقتها و نفاستها، و دلالة على انعتاقها من أية سيطرة و ملكية بشرية، و من أى تطاول طاغوتى على مرّ التاريخ، و دلالة على تحررها من أى اختصاص بقبيلة أو بقوم أو بحكومة:

«.. وليطوّفوا بالبيت العتيق» (الحج- ۲۹).

«.. ثم محلها الى البيت العتيق». (الحج- ۳۳).

قرّر القرآن أن الكعبة بيت «الله»، و هو سبحانه منزّه عن الحلول فى المكان و الحصر فى الزمان، و قرّر انها مستقرّ ضيوف الرحمن .. و أنها مطهرة من الشرك على يدخليل الله و ذبيح الله:

«وعهدنا الى ابراهيم و اسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين و الركع السجود» (البقرة- ۱۲۵).

و زيارة الكعبة عبادة مهمّة ركّز عليها القرآن بعبارة «ولله على الناس ..» و هى العبادة الوحيدة التى ركز عليها القرآن بهذه الصيغة، اذلم ترد فى الكتاب الكريم عبارة ولله على الناس الصلاة أو الصوم أو الزكاة .. ولكن بشأن الحج قال سبحانه:

«ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا». (آل عمران- ۹۷).

ص: ۲۸

الكعبة بيت يحظى زوّاره باحترام خاص، و ينالون سهما من حرمته المعنوية وهتك حرمتهم بمثابة احلال سائر الحرمات:

«يا أيّها الذين آمنوا لا تحلّوا شعائر الله و لا الهدى ولا القلائد و لا آمّين البيت الحرام». (المائدة- ۲)

المسجد الحرام- و فيه الكعبة- مكان آمن للقاصى والدانيع والبدوى و الحضرى يتساوون فيه، وليس لأحد امتياز فيه على آخر:

«ان الذين كفروا و يصدّون عن سبيل الله و المسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه و الباد ..». (الحج- ۲۵).

المسجد الحرام- وفيه الكعبة- مركز حرمة وقدسية وعد الله كل ظالم ملحد فيه بعذاب أليم.

«.. ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب اليم». (الحج- ۲۵).

البيت الحرام تحدث عنه القرآن باعتباره أول ملجأ و مسكن لأبناء خليل الرحمن:

«رنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ..» (ابراهيم- ۳۷).

الارض المحيطة بالعكبة واد غير ذى زرع، أى ليس فيه زرع بالفعل و لا بالقوة، و الخليل (ع) سأل الله سبحانه لهذه الارض أمرين:

ص: ۲۹

الاول: أن تکون عامرهٔ.

الثانی: أن تکون آمنهٔ.

فاستجاب له ربّ العالمین و صارت تلک الارض عامرهٔ، و نلمس التحوّل فی الاختلاف بین دعاءی ابراهیم (ع). فی الاول یقول: «ربّ اجعل هذا بلدا آمنا ..» (البقرهٔ- ۱۲۶). بتنکیر البلد لعدم عمرانه. و فی الثانی یقول: «ربّ اجعل هذا البلد آمنا ..» (ابراهیم- ۳۵). بتعریف البلد لیدلّ علی تحوّله و عمرانه.

و استجاب الله سبحانه لابراهیم طلبته الثانیهٔ، فصدر الحکم التشریعی بأمن هذا البلد. و ذکر سبحانه بأنه البلد الأمین:

«والتین والزیتون و طور سینین و هذا البلد الأمین» (التین ۱- ۳).

و حفظ- سبحانه- أهله من کل خطر اقتصادی أو أمنی:

«فلیعبدوا رب هذا البیت الذی اطعمهم من جوع و آمنهم من خوف» (قریش- ۳).

«ومن دخله کان آمنا». (آل عمران- ۹۷).

«أولم نمکن لهم حرما آمنا یجبی الیه ثمرات کل شیء» (القصص- ۵۷).

«أولم یروا أنا جعلنا حرما آمنا و یتخطف الناس من حولهم» (العنکبوت- ۶۷).

التأکید القرآنی المرکز علی أمن الحرم- و ان کان الأمن

ص: ۳۰

بـذاته نعمة كبرى- يثير انتباه كل نبيه الى ان تلك المنطقة يجب أن تشـهد ما يتطلب الاحساس بالسـكينة و الأمن. ولو أن عمل الحاج كـان مقتصـرا على الـدعاء و التضـرّع و الزيـارة و الطـواف و لم يتضـمن أيـة براءة من الطغـاة و المعتـدين و إدانتهم، لمـا هـدّد هؤلاء المجرمون أمن الحرم .. و هذا ما سنوضحه أكثر فيما بعد.

الكعبة محور البراءة من المشركين

۱۷- الجماعة المؤمنة الملتزمة تسعى حثيثا للوصول الى الهدف السامى الكبير الذى خلقت البشرية من أجله .. الى الكمال الانسانى.

و الكعبـة و المسـجد الحرام يشـكلان معلما مهما من معالم هذه الحركة التكاملية، وينطويان على مفاهيم عميقة تسـمو على التصورات الساذجة التى يحملها البعض تجاه هذه الاماكن المقدسة.

ولما كان التوحيد الخالص يشـكل الذروة فى تكامل الانسان .. كما ان هذا التوحيد لايتحقق الّا بالتحرر من كل شـرك، لذلك كانت الكعبة، التى تستقطب المسلمين من كل أنحاء العالم، بيت التوحيد و محور التبرّى من كل طغيان و طاغوت.

بعد ان تمت المقدمات ببناء البيت العتيق، و تقررت حرمة الحرم و أمنه لروّاده، صدر الأمر الالهى الى نبيه ابراهيم (ع) ليدعو الناس الى حج البيت:

«وأذّن فى الناس بالحج يأتوك رجالًا و على كل ضامر يأتين

ص: ۳۱

من كل فج عميق ..» (الحج- ۲۷).

و حينما استجابت الجماعة المؤمنة لنداء ابراهيم و تجمعت حول البيت قادمة من كل حدب وصوب لتشهد «منافع» لها، حان دور الأذان المحمدى:

«وأذان من الله و رسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أنّ الله برئ من المشركين و رسوله». (التوبة- ۲).

أى ان الاعلان الاول لم يكن يتضمن الهدف النهائى من بناء الكعبة فى اطارها الالهى الكامل، بل انه و فّر الارضية للاعلان الثانى الذى ينطوى على الهدف النهائى للكعبة .. اعلان البراءة .. براءة الله و رسوله .. من كل مشرك و ملحد. ولكى يكون هذا الاعلان عالميا على رؤوس الاشهاد، تركز الآية على رفعه «يوم الحج الاكبر» أى عند تجمّع كل الحجّاج فى الايام الجامعة .. يوم عرفة .. يوم عيد الأضحى و .. كما ان الحج نفسه مقابل العمرة هو «أكبر».

من هنا فالهدف النهائى من بناء البيت الوصول الى التوحيد الخالص من الشرك. و لايمكن تحقيق هذا الهدف دون البراءة التامة من كل شرك و الحاد، و رفض كل مشرك و ملحد، و هذا الهدف النهائى تبلور فى اعلان براءة الله و رسوله من المشركين.

و مادام الناس يعيشون على ظهر الارض فهم مكلفون بأداء فريضة الحج. و مادام الشرك يدنس أرض المعمورة فان اعلان البراءة منه جزء من أهم واجبات الحج.

ص: ۳۲

و اليوم، فان المسلمين لا يملكون مكانا أفضل من مكة لاعلان البراءه من طواغيت الأرض .. من روسيا التى تدنّس أرض افغانستان و تذبّح أبناءها و تستبيح حرماتها، و تنتهك مقدساتها .. و من اسرائيل المحتلة الغاصبة الجاثمة على أرض فلسطين الاسلامية .. و فى اولى القبلتين و ثالث الحرمين، و من البطش الصهيونى بأبناء فلسطين و قتلهم فى مجازر و حشية رهيبة شملت الأطفال و النساء و الشيوخ القابعين فى مخيمات التشريد .. و من امريكا .. راس الاجرام العالمى المعاصر .. المتلاعبة بمقدرات شعوب العالم الثالث .. و الطامعة فى كل ثروات العالم الاسلامى .. و المستهينة بكل كرامة و سيادة الشعوب.

ولعل جاهلا أو متجاهلا يقول: أن ارض الحجاز الحالية خالية من المشركين .. ولذلك فلا داعى لاعلان البراءة منهم. وفات هؤلاء أن الشرك لا يتمثل فى الشخص المشرك بجسمه المادى فحسب، بل إنه يشمل كل مظاهر التفكير المشرك و الحضارة المشركة و الاستعمار الظالم و التجبّر الطاغوتى و الاستثمار الفرعونى والاستحمار السامرى و الاستضعاف الماكر المستفحلة فى عالمنا الاسلامى، بما فى ذلك أرض الحجاز.

ولا يخفى على كل انسان واع ما تشهده أرض الحجاز اليوم من مأساة تتمثل فى تحويل أعظم المقدسات الاسلامية الى «اقطاعية» من اقطاعيات «عائلة» آل سعود و تحويل أرض الحجاز الى جزء من مملكة تحمل اسم هذه العائلة السيئة الصيت. كفى الحرم المكى العتيق مأساة ان يقع فى أغلال العائلة

ص: ۳۳

السعودية بينما عظمه الله و أجلّه و رفعه فى مواضع عديدة من كتابه الكريم كقوله سبحانه:

«انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شئ و امرت أن اكون من المسلمين». (النمل- ۹۱).

عمارة الكعبة و المسجد الحرام

۱۸- المؤمنون المرتبطون بالكعبة فى كل شؤون حياتهم بل وحتى بعد مماتهم يتحملون مسؤولية تجاه هذا البيت المقدس ..

و الله سبحانه او كل مسؤولية عمارة المساجد عامة و المسجد الحرام خاصة الى المؤمنين الخلّص الاثقين لهذه المهمة. فالمساجد عامة، و المسجد الحرام، خاصة، لها حرمتها الخاصة، و بشأن عامة المساجد يقول سبحانه:

«وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا». (الجن- ۱۸).

فكلمة المساجد- و ان كانت تطلق أيضا على مواضع السجود- ظاهرة فى الاماكن الخاصة بعبادة المسلمين، و هى المراد منها فى قوله تعالى:

«ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع و بيع وصلوات و مساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا» (الحج- ۴۰).

«واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين» (الاعراف- ۲۹).

ص: ۳۴

«یا بنی آدم خذوا زینتکم عند کل مسجد» (الاعراف- ۳۱).

«ومن أظلم ممّن منع مساجد الله أن یذکر فیها اسمه» (البقرة- ۱۱۴).

«ولا تباشروهن و انتم عاکفون فی المساجد» (البقرة- ۱۸۷).

و بیَّن سبحانه فی مواضع عدیدة من الکتاب الکریم مکانة المسجد الحرام، و احکامه و ما یرتبط بشؤونه المختلفة فقال تعالی:

«ومن حیث خرجت فولّ وجهک شطر المسجد الحرام» (البقرة- ۱۵۰).

«ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتی یقاتلوکم فیه فان قاتلوکم فاقتلوهم کذلک جزاء الکافرین» (البقرة- ۱۹۱).

فکما ان موسم الحج و زمان زیارة الحرم من الاشهر الحرم، کذلک مکان اداء مناسک الحج محترم لایجوز فیه القتال الابتدائی. غیر أن القصاص لا- یختص بنفس أو طرف، بل یشمل أیضا نقض الحرمة و هتک الاحترام، ففی هذا النقض قصاص کذلک یقول سبحانه:

«الشهر الحرام بالشهر الحرام و الحرمات قصاص فمن اعتدی علیکم فاعتدوا علیه بمثل ما اعتدی علیکم ..» (البقرة- ۱۹۴).

و یقول سبحانه:

«وما لهم الّا یعذبهم الله وهم یصدّون عند المسجد الحرام» (الانفال- ۳۴).

«فلا یقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا» (التوبة- ۲۸).

ص: ۳۵

و بشأن المسجد الحرام أيضا جاء فى كتاب الله العزيز:

«سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا». (الأسراء- ۱).

بعد هذا الاستعراض لما جاء فى القرآن الكريم بشأن أهمية المساجد عامة و مكانة المسجد الحرام بشكل خاص، نتعرض الى من يتحمل مسؤولية عمارة المسجد الحرام.

يقول سبحانه- و هو صاحب المساجد جميعا و المسجد الحرام خاصة-:

«وما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم و فى النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله من آمن بالله و اليوم الآخر و أقام الصلاة و أتى الزكاة و لم يخش الّا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين» (التوبة: ۱۷- ۱۸).

فشروط من يقوم بعمارة المسجد الحرام:

اولا: الايمان بالله تعالى.

ثانيا: الايمان باليوم الآخر.

ثالثا: اقامة الصلاة.

رابعا: ايتاء الزكاة.

خامسا: أن لا يخشى الّا الله. أى أن يكون موحّدا فى الخشية. فمن لايخشى الله ملحد، و متوحش بطاش مفترس.

ومن يشارك الله فى الخشية، أى يخشى الله و يخشى أحداً آخر، فهو ليس بموحّد فى الخشية.

و سرّ هذا الشرط الخامس يكمن فى نظرة الاسلام الى

ص: ۳۶

المساجد. فالمسجد ليس بالمكان المقتصر على الصلاة و الدعاء و التعليم و التدريس و الوعظ، بل هو أيضا مركز للتعبئة العسكرية من أجل مواجهة الأخطار، و الدفاع عن الاسلام، انه محور تطبيق قوله سبحانه:

«وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» (الانفال- ۶۰).

و من هنا فان عمارة مثل هذا المكان لابد أن ينهض بها من: «لايخافون فى الله لومة لائم».

و كما أن مسؤولية النهوض بالرسالة ملقاة على عاتق الرجال الموحدين الشجعان كذلك مسؤولية عمارة المسجد يتحملها الموحّدون الصامدون: «الذين يبلغون رسالات الله و يخشونه و لا يخشون أحدا الّا الله و كفى بالله حسيبا». (الاحزاب- ۳۹).

و من باب تناسب الحكم و الموضوع نستطيع أن نفهم أهمية شرط الشجاعة فى تبليغ الرسالة و فى عمارة بيوت الله .. من هنا كان لابد لأمناء المساجد و اوليائها و القائمين على أمورها من التحلى بالشجاعة اللازمة التى هى التوحيد فى الخشية .. الى جانب الشروط الاخرى.

مما تقدم نفهم أن الاسلام سلب المشركين و المنافقين و الكفار حق عمارة المسجد الحرام .. كما سلبه ايضا ضعاف الايمان و المهزوزين و المتخوفين من الأعداء و المشركين. لان عملية عمارة المسجد الحرام و توليه- ان لم تكن مقرونة بالتوحيد فى الخشية- فقد تحدث مشاكل و موانع فى طريق التعبئة العسكرية. و استعمال أدوات الحصر «انما» و «الّا»

ص: ۳۷

يدل بوضوح على أهمية الشروط المذكورة لمن يعمر مساجد الله.

فأساس تكامل الانسان يتمثل فى الأوصاف النفسية كالايمان، لذلك يقول سبحانه:

«اجعلتم سقاية الحاج و عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله و اليوم الآخر و جاهد فى سبيل الله لا يستوون عندالله و الله لايهدى القوم الظالمين». (التوبة- ۱۹).

ولان الهدف النهائى من تعاليم الدين خلق الأفراد المتصفين بالأوصاف الكمالية لا الا كتفاء بتعليم الأوصاف الكمالية، لذلك لم تقل الآية ... كالايمان بالله و اليوم الآخر ... وان كان السياق يقتضى ذلك، بل قالت «كمن آمن بالله و اليوم الآخر».

و خلاصة ما مرّ أن الذى يخشى الله و يخشى احدا غير الله، لا يصلح لعمارة المسجد الحرام، ذلك لانه حين تحين ضرورة الدفاع سيملاه الخوف من الحضور فى ساحة مواجهة الباطل:

«فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله» (النساء- ۷۷).

أما المؤمنون فهم موحدون فى الخشية ايضا، ولا يخشون أحدا الا الله حتى ولو تجمعت جحافل الكفر فى مواجهتهم:

«الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا و قالوا حسبنا الله و نعم الوكيل» (آل عمران- ۱۷۳).

و هؤلاء المتصفون بهذه الأوصاف هم المؤهلون لعمارة

ص: ۳۸

المساجد.

ولاية حرم الأمن الالهى

۱۹- المؤمنون المنضوون تحت ولايـة الله و الرافضون لغير ولايـة الله لايسـمحون لأولياء الشيطان أن يتقلـدوا المناصب الحسّاسـة، لأن التعاليم الالهية تقضـى بأن لايتقد المراكز الدينية المهمة الّا المتقون الشـجعان الواعون. و لأهمية الكعبة و المسجد الحرام صرّح القرآن بشروط تولية هذه البقاع المقدسة كى تودع هذه الأمانة الالهية عند أهلها.

و بشأن ولاية المسجد الحرام يقول سبحانه:

«وما لهم الّا يعـذبهم الله و هم يصـدون عن المسـجد الحرام و ما كانوا اولياءه أن اولياءه الّا المتقون ولكن اكثرهم لايعلمون» (الانفال- ۳۴).

فى هـذه الآيـة الكريمـة اشارة الى عزل بل انعزال الفاسـدين عن توليـة المسـجد الحرام و الى تعيين المتقين لهذه السـمة لأن الفاسدين منصـرفون عن المسـجد الحرام و صارفون عنه، وناؤون عنه و ناهون عنه. لكن المتقين متعبدون فى المسجد الحرام وداعون اليه. وهذه التوليـة من حق الله لا ـ من حق النـاس، اذ ليست هـذه المساجـد مثـل الأوقـاف الخاصـة التى يحق للناس أن يولوا من يشاءون فيها. لان المساجـد ليست ملكا لأحد، و الوقف فيها يشـبه تحرير الرقبة وفك الملك لا مثل تحبيس الاصل و تسبيل الثمرة. والله سـبحانه قرر أن تكون التولية للمتقين.

مما تقدم فان تولية الحرم لايمكن أن تكون فى احتكار الخونة

ص: ۳۹

المسيطرين حاليا على الحجاز، بل يتحمل كل المتقين فى جميع أنحاء العالم الاسلامى مسؤولية الاستجابة لأمر الله و انقاذ الحرم من الحرامى، و المسجد الحرام من الأجنبى.

والمقصود من التقوى التى هى شرط أساس لتولية الحرم ليس هى التقوى العبادية و الدعائية و نظائرها فقط، بل التقوى الجامعة.

والسبب فى التركيز على التقوى بشأن تولية الحرم هو أن حرم الأمن الالهى ليس مثل الآثار التاريخية. ليس مثل سور الصين .. ليس أثراتاريخيا ماديا يتملكه أهل تلك الأرض. ليس مثل أهرام مصر التى يتولاها المصريون وحدهم. بل الكعبة فى جميع ابعادها المادية و المعنوية منزّهة و مبّرأة من الارتباط بأحد غيرالله.

من هذا المنطلق فان الكعبة لاترتبط ارتباطا خاصا بفرد او مجموعة، و لا تخضع لقوانين بشرية وضعية. بل الكعبة- مثل القرآن الكريم و الرسول الاعظم- لاتستند الى أحد غيرالله.

و كما ان القرآن الكريم ليس افرازا فكريا بشريا، وليس لأحد قدرة على أن يأتى بمثله، ولذلك كان كتاب الله و كلام الله، لايختص بأحد ..

و كما أن النبى (ص) لم يأخذ العلم من مدرسة أحد، و ليس لأحد عليه حق التعليم و التزكية و التهذيب، لذلك كان عبدالله و رسول الله ..

كذلك الكعبة .. لانها لم تشيد فى ملك أحد، و لم يضع تصميمها مهندس بشرى وليست موادها الانشائية ملكا لأحد، وليس معمارها و مساعد معمارها من الأفراد العاديين. بل

ص: ۴۰

الكعبة- فى كل هذه الأبعاد كما اشرنا- ترتبط بالله سبحانه و تعالى.

هذه الخصائص التى تحيط بالكعبة هى التى صيّرت منها محورا لوحدة المسلمين فى جميع أرجاء المعمورة، و تبلوا لعالميّة الاسلام.

و كما ان الله سبحانه صان الحقيقة القرآنية من تطاول الطواغيت اللئام، و من كل تحريف، بحيث لم يزد عليه حرف و لم ينقض منه حرف ..

و كما أن رسالة النبى الأكرم (ص) قد ثبّتت بألوان المعجزات خاصة المعجزة الخالدة (أى القرآن الكريم).

كذلك الكعبة التى هى محور وحدة المسلمين قد صانها الله من أبرهة الماضى و الحاضر و المستقبل.

و كما أن المسلمين يتحملون مسؤولية صيانة القرآن، و صيانة الشخصية الحقوقية للرسول الاكرم (ص) و رسالته، فانهم يتحملون أيضا مسؤولية الجهاد من أجل تأمين حرمة الحرم و قدسيته، كى لايتلوث بأدران آل سعود.

و كما أن لغة القرآن العربية أو نزوله فى الحجاز لايجعلانه مختصا بالعرب ..

و كما ان بعثة النبى الأكرم (ص) فى الحجاز، و دعوته فيها، و وفاته فى ارضها، لا تجعل النبى مختصا بأرض الحجاز .. (ذلك لأن القرآن و هكذا النبى (ص) من حيث المعنى و القلب لا كلام مثل القرآن و لا شخص كرسول الله (ص)).

كذلك وجود الكعبة فى الحجاز و بناؤها من المواد الانشائية

ص: ۴۱

لتلك الارض لايجعلانها مختصة بالعرب أو الحجازيين أو الحكام المتسلطين على تلك الارض .. ذلك لأن الكعبة- و ان كانت مشيدة من أحجار كسائر الأحجار لا تضر و لا تنفع- فهى محاذية لعرش الله، و جدرانها الاربعة مشيدة على أساس التسبيحات الأربع: (سبحان الله، و الحمدالله، ولا اله الّا الله، والله اكبر) و عتيقة من كل سيطرة متجبرة و لذلك لم يكن لها نظير. ولو أن كتابا أو كلاما أو شخصا أوبناء ارتبط بغير الله، فليس له اطلاقا أن يكون بلورة للاسلام العالمى الشامل.

ضيوف الرحمن

ضيوف الحرم الشريف هم الذين تتوفر فيهم شروط استحقاق هذه الضيافة الكريمة. و القرآن الكريم بيّن أوصافهم على نحوعام، كما بيّن مصاديق هذه الاوصاف بشكل خاص.

اما الشروط العامة فقد ذكرتها الآية مخاطبة ابراهيم و اسماعيل (ع):

«أن طهرا بيتى للطائفين و العاكفين و الركع السجود». (البقرة- ۱۲۵).

و أمّا المصداق فقد ذكرته الآية ۲۹ من سورة الفتح:

«محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجّدا يبتغون فضلا من الله و رضوانا ..»

فهؤلاء الطائفون و العاكفون و الركع السجود الذين أعد البيت لاستضافتهم هم أمة رسول الله (ص) الذين يتحلون- الى جانب ركوعهم و سجودهم- بصلابة ابراهيم فى وجه أتباع

ص: ۴۲

الروسی، و لیست فلسطین وحدها ترزح تحت وطأة الاحتلال الصهیونی، ولیست لبنان و ایران وحدهما یتعرضان للعدوان الأمریکی .. بل ان ارض الحجاز ترزح أیضا تحت وطأة احتلال سعودی امریکی بغیض.

یا رجال الاسلام .. هبّوا لتحریر القبلتین من الاحتلال الأمریکی.

أیها المجاهدون فی سبیل الله!

آل سعود من الذین قال الله فی حقهم:

«اذا قیل له اتق الله أخذته العزّة بالاثم»

فهم لایرعوون بالموعظة ولا یرتدعون بالنصیحة.

لاسبیل لوحدة المسلمین و رمز وحدة المسلمین فی أیدی المفرقین السعودیین الذین یزهقون أرواح المنادین بالوحدة و بشعار: یا أیها المسلمون: اتحدوا .. اتحدوا.

یا ابناء الاسلام!

رب العالمین یحذرکم من أعدائه فیقول:

«لایزالون یقاتلونکم حتی یردّوکم عن دینکم ان استطاعوا» (البقرة- ۲۱۷).

«ولا تزال تطلع علی خائنة منهم الّا قلیلا منهم» (المائدة- ۲۳).

فعلینا جمیعا أن نعمل متحدین لتخلیص الحرمین الشریفین من أدران هؤلاء الأعداء.

علی امل انتصار الاسلام علی الکفر العالمی

۷/ جمادی الاولی/ ۱۴۰۸ ه. ق

عبدالله جوادی آملی

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنَادِرُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لَم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، علی أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.